

حرب إسرائيل على لبنان والنتائج البعده المتوقعة

2006/08/22

يمكن القول أن معركة إسرائيل في لبنان هي أولى الحروب التي تخوضها الدولة العبرية مع العرب، إذ كانت كل الحروب السابقة عبارة عن معارك غير متكافئة، انتهت معظمها قبل أن تتحول إلى حروب حقيقية ومواجهات عسكرية ضارية. ولقد جاءت الحرب في لبنان لتظهر أن النصر الإسرائيلي ليس قدرا، وأن الهزيمة العربية ليست مصيرا محتوما، بل إن من الممكن أن ينتصر العرب وتهزم إسرائيل. كما أتت الحرب لتكشف أيضا مدى التواطؤ الأمريكي مع الكيان الصهيوني، ومدى حقد إدارة الرئيس بوش بالذات على العرب والمسلمين، ورفضها لحقوقهم في الحرية والتحرر.

إن من الواضح أن أمريكا أرادت استغلال أحداث لبنان وتقديم الدعم المطلق لإسرائيل من أجل كسر شوكة المقاومة العربية وهزيمة ما تبقى من كرامة عربية، وكوسيلة لإرهاب سورية وإيران وإحراجهما أمام الشعوب العربية والإسلامية عامة. كما أرادت أمريكا على ما يبدو أيضا إرسال رسالة واضحة إلى قوى المقاومة في فلسطين والعراق، وإفناعها بأنه من غير الممكن لها أن تنتصر، وأن أمريكا وإسرائيل تملكان القوة العسكرية والإرادة السياسية لهزيمة أية قوة تقف في وجه السياسات الأمريكية والمخططات الإسرائيلية.

إن استمرار الخسائر الأمريكية على أرض العراق، واستعادة طالبان لزام المبادرة في أفغانستان، كانت أيضا أسبابا إضافية دعت أمريكا لدعم إسرائيل عسكريا بشكل مفضوح، وإمدادها بأبشع القنابل وأقدرها على القتل والدمار لتحقيق نصر على أشلاء أطفال لبنان، وذلك على أمل أن يعوضها نصر أجوف ملطخ بدماء الأبرياء عن الهزائم المتلاحقة في العراق وأفغانستان. إن أمريكا لم تكتفي بكل الانتصارات التي حققتها على الساحة السياسية والاقتصادية والرسمية العربية، بل أرادت أن تصفي كل جيوب المقاومة الشعبية، وأن تكتم كل الأصوات التي تنادي بضرورة مواجهة مشاريع الهيمنة الأمريكية والخطط التوسعية الصهيونية.

إن الدعم العسكري والسياسي الأمريكي لإسرائيل، وقبول إسرائيل بدور رئيس عصاة إجرامية تعمل لصالح دولة عظمى ظالمة، جاء من أجل تكريس الهيمنة الأمريكية على المنطقة العربية عامة، وتعيين إسرائيل مندوبا ساميا يدير شؤون المنطقة ويحكم دولها، يعين ويعزل، يسجن ويعذب، وبرهب ويقتل من يشاء ومتى شاء. إن أمريكا في الواقع لم تسفر عن هذا الوجه القبيح بهذا الشكل المفضوح في أية فترة سابقة، إلا قبل أربعين سنة تقريبا حين أصرت إدارة الرئيس جونسون في عام 1967 على أن لا يشمل قرار مجلس الأمن الدولي رقم 242 على بند ينص على انسحاب القوات المتحاربة إلى خطوط ما قبل بدء العمليات العسكرية. ولقد كان ذلك الموقف ولا يزال سببا في وقوع اختلافات كثيرة في وجهات النظر حول المعنى الحقيقي للقرار الدولي، واستخدام أمريكا ذلك الاختلاف في الرأي ذريعة للحيلولة دون قيام مجلس الأمن بالضغط على إسرائيل لتنفيذ قراره.

إن من المستحيل في هذا العصر أن تنجح دولة عدد سكانها لا يزيد عن 5 مليون نسمة في السيطرة على أمة يزيد عدد سكانها عن 300 مليون نسمة. وكما قال المرحوم الملك فهد قبل سنوات من وفاته إن عدد طلاب الجامعات العربية يفوق اليوم عدد سكان إسرائيل. إن إسرائيل أقلية مجرمة ممقوتة في وسط بحر زرعت في قلبه العداة لها والكراهية لموافقها وأطماعها، مما يجعل من حق كل إنسان متحضر وعربي أن يسعى لإخراجها من حالة الهديان الخطرة التي تعيش فيها، وأن يعرض عليها خيارين لا ثالث لهما: التنازل عن أطماعها والاعتذار عن جرائمها والتكامل مع محيطها واحترام حقوق غيرها، أو الرحيل عن أرض اغتصبتها وعن أناس يكرهونها.

وعلى افتراض أن 5% فقط من الشعوب العربية تقف اليوم مع المقاومة انتصارا لكرامتها، فمعنى ذلك أنه هناك أكثر من 15 مليون عربي مقاوم، أي ثلاثة أضعاف سكان إسرائيل، منهم من يحمل السلاح ويقاتل، ومنهم من ينظم ويؤطر وينشط في المجال السياسي، ومنهم من يحمل القلم وينشط في مجال الإعلام والتنقيف الجماهيري، ومنهم من يقدم المال والدعم المادي والمعنوي. وتشير أحداث العراق ولبنان وفلسطين، والمظاهرات التي عمت شوارع العواصم والمدن العربية على مدى الأسابيع القليلة الماضية أن عدد المقاومين من العرب قد تضاعف مرات خلال سنوات، وأن تلك الأعداد لا تزال في تزايد مستمر. ومع تصاعد الغضب الشعبي ضد أمريكا وإسرائيل، تتراجع الثقة "بأصدقاء" أمريكا من

حكومات عربية، ويتنامى الإيمان بالنظريات التأمريية، وتتساقط دعوات الصلح والسلام.

إلى جانب ذلك، تشير أحداث آخر ستة سنوات إلى أن السياسات الأمريكية والممارسات الإسرائيلية أدت إلى تصاعد حدة الكراهية لأمريكا وإسرائيل، ليس فقط في العالم العربي والإسلامي، بل وأيضاً في مختلف دول العالم وبين مختلف شعوب الأرض، بما في ذلك شعوب أوروبا الغربية. وهذا أدى إلى اتساع نطاق الإرهاب الدولي، ومكنه من الحصول على المزيد من المبررات، وأعطاه فرصة جديدة وثمينة لتجنيد المزيد من المتطوعين. وفي الواقع، أدت التطورات التي اشترنا إليها إلى القضاء شبه الكامل على معسكر السلام العربي، حيث لم يعد هناك سوى معسكرين: معسكر المقاومة ومعسكر الاستسلام. وبينما يتزايد الدعم والتأييد الشعبي لمعسكر المقاومة، يتراجع التعاطف مع معسكر الاستسلام. ويقوم معسكر المقاومة اليوم بتجسيد ضمير الأمة العربية وإرادتها في مواجهة سياسات الحقد والكراهية الأمريكية وحروب الإبادة الإسرائيلية، وتقديم التضحيات من أجل الحفاظ على الكرامة العربية والحيلولة دون تصفية القضية الفلسطينية.

ومع اتضاح حقيقة الموقف الأمريكي المعادي بشكل شبه مطلق للأمانى العربية في الحرية والاستقلال والتحرر من الاحتلال الصهيوني، اتضح أيضاً موقف الأنظمة العربية المقربة من أمريكا وميلها للقبول بواقع الهزيمة والتسليم بنتائجها. وهذا جعل الهوة بين الشعوب العربية وحكامها تتسع بشكل كبير، يصعب معه ردمها أو حتى تضيقها في ظل الأوضاع القائمة. وهذا بدوره ينذر بتغيير قواعد اللعبة في المنطقة العربية، ويدفع الشعوب العربية عامة وإرادة المقاومة لديها خاصة إلى أخذ زمام المبادرة وتغيير ما يجب تغييره من نظم وسياسيات وعلاقات مع الغير. إن الهزائم العسكرية مهما كانت قاسية، ومهما كانت تبعاتها مروعة، لا تؤدي بالضرورة إلى تحقيق السلام والسماح للمنتصر بالهيمنة على المنهزم إلى الأبد، فلو كان ذلك ممكناً لما انهزمت إمبراطورية في التاريخ، ولما تفككت دولة في العالم، ولما وقعت حرب أهلية أو إقليمية أو دولية.